جائزة هـــذا العام

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى اعتقادنا أن المحكمين فى جائزة نوبل الأدبية والعلمية يلاحظون القضايا العالمية عند اختيار صاحب الجائزة ، إذا لم يكن لها مرشح من طراز برنارد شو وأناتول فرانس ومترلنك ونظرائهم الذين يستحقونها بشهادة العالم قبل شهادة المحكمين

فقد كانت الجائزة من نصيب الكاتبة الأمريكية بيرل بك لأن القضية التى كانت تشغل الأذهان فى السنة الماضية هى قضية الصين، وقد اشتهرت الكاتبة الأمريكية رواياتها الصينية العديدة حتى أوشكت أن تقصر على موضوعات الصين كل ما كتبت من الروايات والقصص والمقالات

وكانت الجائزة من نصيب « إيفان بونين » الروسى المهاجر إلى باريس هرباً من طغيان الشيوعيين يوم كانت قضية اليوم هى قضية الحرب بين الحرية والشيوعية وبين عقائد النور وعقائد الظلام فى روسيا الحمراء

وقد أصابت الجائزة هذا العام أديباً فنلندياً لم يظهر شأنه قبل ذاك فى أمم أوربا الغربية على الخصوص لأن قضية فنلندة هى قضية السلم والحرية وقضية الجهاد النبيل فى هذه الأوقات

ومن السهل أن نقرن قبل ذلك بين أصحاب الجوائز وبين القضايا الإنسانية التى نجمت فى الهند أو فى إرلندة أو فى إيطاليا أو فى بولونيا أو فى ألمانيا ، ولا سيما جائزة السلم التى أصابت كارل فون أوسيتزكى ولم تصل إليه ، لأنه كان فى قبضة النازيين

* * *

ولا غبار عندنا على هذا الميزان وإن لم يكن من موازين الأدب الخالص والنقد المجرد ، لأن الجائزة المبذولة إنما هى قبل كل شىء جائزة السلم والمروءة ، ولا ضير فى الجمع بهما بين الاعتراف للأديب الذى ينالها والاعتراف للقضية التى يرتبط بها ذلك الأديب إما ارتباط الموطن أو ارتباط المذهب أو ارتباط العقيدة الاجتماعية

وعلى هذا المعنى لا نرى فى هذا العام من هو أحق بها من أديب فنلندة « فراتز إيميل سيلانبا » إذا اجتمع استحقاقه إلى استحقاق أمته للتنويه والتشجيع

ونقول هذا لأننا لم نقرأ للكاتب الفنلندى شيئاً من الكتب والروايات قبل ذيوع اسمه لتلك المناسبة . وليس فى وسعنا أن نحكم على أدبه أو على استحقاقه الفنى بمعزل عن استحقاق بلاده، فحسبه شهادة وتزكية أنه أديب تلك البلاد التى ارتفعت إلى الذروة العليا من مقاوم البسالة والاستشهاد

لم نقرأ له ولكننا قرأنا عنه فذكرنا ما كتبناه فى العام الماضى حين قلنا إن المحكمين يختارون لجوائزهم واحداً من اثنين : « فإما أديب من الأعلام البارزين طبقت شهرته الآفاق وحكم العالم له قبل حكم المجمع ونقاده . . . وإما أديب يخدم الطيبة والمروءة ويشيع بين الناس أواصر المودة والرحمة »

فإن لم يكن « سيلانبا » من الأولين فهو ولا ريب ـ على حسب أوصاف عارفيه ـ من الآخرين

ويبدو لنا أن هذا الكاتب الفنلندى قد استطاع ما لا يستطاع فى كثير من الأحيان :

استطاع أن يوفق بين معيشته ومعيشة أبطال رواياته ومعيشة أبناء وطنه ومعيشة الإنسان فى كل زمان بمعزل عن الأوقات والأوطان

فالأبطال الذين يصورهم فى رواياته هم فلاحون فنلنديون ، وهم مع ذلك أناسى صادقون ، وهم مع هذا وذاك صدى ما فى عيشه هو وعيش أسرته جميعاً من البساطة والسهولة والطيبة وقلة التعقيد

والظاهر أن سيلانبا قد استمد البساطة من نشأته ومن تعليمه على السواء

فهو بنشأته فلاح . وهو بتعليمه « بيولوجى » من تلاميذ داروين المعجبين بذلك العلامة العظيم . وليس فى الدنيا شىء يعلم المفكر البساطة والسداد فى النظر إلى الحياة والأحياء إن لم يتعلمهما من أخلاق داروين وعقل داروين وطريقة داروين فى الملاحظة والاستقراء

وقد أبدع سيلانبا فى الرواية الفنلندية نمطاً جديداً غير النمط الذى كان شائعاً فى وطنه بين كتاب الروايات والأقاصيص

فقد كان الولع بالحبكة والتشويق والإطناب غالباً على الكثيرين

منهم ، وكان فن الحكاية عندهم غالباً على فن الحياة أو فن الملاحظة الصادقة عن كثب

ولعلهم وقعوا فى غلطة الأكثرين من أدبائنا الشرقيين الذين حسبوا أن القريب لا يستحق البحث عنه لمجرد أنه قريب ، وأن البعيد خليق بالسعى إليه لا لشىء إلا أنه بعيد . فتركوا البساطة والقرب وأوغلوا وراء الشذوذ والتعسف ؛ ودلوا من حيث لا يقصدون على صعوبة المطلب القريب واستعصائه على غير المباقرة الملهمين

وجاء سيلانبا فعوّد القراء الفنلنديين كيف يستمعون قصة تقوم على مراقبة أم ووليدها الصغير ، أو مراقبة الشيخوخة التى تتشابه فيها الأوقات والخواطر والأعمال ، أو مراقبة الأفراد الذين لا يخلقون التاريخ ولا يأتون بالعجائب ولا يخرجون من المألوف ، ولكنهم هم الطبعة الشائعة من كتاب الحياة الباقية ، وفى هذه الطبعة ولا شك يقرأها من يفتش عن معناها الأصيل

وهو يحسب أن الأفضل الأكمل من مؤلفاته هو ما جاد به عفو البداهة وسخاء الساعة ، ومن هنا إيثاره لقصة صغيرة اسمها « هانتووراجنار » وقوله إنها كتبت فى سهولة وفيض سريع ، وهكذا تُكتب أحسن الآثار

لكنه كثير المراجعة لمعظم ما يكتب ، فقلما يتركه بغير تنقيح وتصحيح على الهامش . ثم يعاد إليه من المطبعة فيزيد عليه ويحذف منه ولا يستريح إليه إلا بعد تبديل كثير

وأشهر رواياته « سيلجا » وهى كما قال قد ظفرت بالحصة الدنيا من التنقيح والتبديل

* * *

رأيت صورته فإذا هى تنم على تركيب بنية الفلاح الصليح المستنير .

ورأيت صورته بين أبنائه وزوجته الأولى فإذا هى تنم على رب الأسرة القرير العين بعيشته البيتية وحياته الأبوية

وقرأت تلخيص كتاباته فعلمت أنه جدير بأن يكتب مثلها وأن يجىء تأليفها على يدى مثله ، لأنها من معدنه وهو من معدنها

زاره الكاتب الإنجليزى إيفور بنسون وكان فى هلسنكى عاصمة فنلندا يوم إعلان نبأ الجائزة فقال :

لبثت أنتظره بعد الموعد نحو خمس دقائق أو ست . ثم اندفع إلى الحجرة وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وفى إحدى يديه زجاجة من الجعة، وفى اليد الأخرى كوب ملآن إلى نصفه، وبادر معتذراً يقول :

« لقد تأخرت لأننى عنيت بالحلاقة الجيدة هذا الصباح ، وما كنت أنوى الحلاقة قبل غد لولا علمى أننى سألقى اليوم إنجليزياً فلا مناص من «عملها» اليوم ... إذ يقال إن الإنجليزى يحكم على من يلقاه بأشياء ثلاثة : أولها حالة ذقنه ، ومر بيده على ذقنه مرور الواثق المطمئن ؛ ثم لمس رباط رقبته وعلى وجهه ظل من التوجس ولمحة عصبية ظريفة تشف عن الشك وقلة الوثوق ومضى يقول : أيا كانت الحال فليست هى بالرديئة ، وقد أجوز بها الامتحان !

« أما الشىء الثالث فهو الحذاء ، ثم جلس على مقعد وسحب بينى وبينه كرسياً يحجب قدميه وقال : ولا إخاله ينجح فى هذا الامتحان ، ولكنك لا تراه ! »

قال إيفور بنسون ما فحواه : إن سيلانبا طفق يتحدث إلىّ بين الاستحياء والتدفق الصاخب حديث الصاحب الذى قد عرفنى طوال حياته، وذكر لى أن الذى يعجبه من التحدث إلى الانجليز أن جرح شعورهم عسير ، وأن مما كستهم مأمونة كل الأمان . وكان يلوح عليه أنه كان يفكر تلك اللحظة فيما يفاجأ به أحياناً من ألم يساوره كلما ظهر له أنه قد أتى بإساءة مستغربة على غير قصد منه .

وجملة ما يقال فى وصفه أنه رجل بين بساطة الفطرة وتثقيف العلم والحضارة ، وأنه فى أدبه وفنه وأسلوبه على هذا المثال

عباس محمود العقاد

لا زكام بعد الآن !
أحدث الاكتشافات العلمية فى صحة الفم، اليود فى عجينة للأسنان:
يودكالكلورا
الطلب للشركة العلمية العامة سد جلال نموردیان ص بوسته ٢١٠٥ بمصر